وقد ادركت الجماهير الغاضبة ان الرد الوحيد هو «كلنا فدائية»، وتقوم الجنازات في الوطن المحتل لتهتف تحت علم فلسطين « يا اللي استشهدوا جوا بيروت ... دم الثوار عمرو ما يفوت » ولتهتف « بلادي بلادي بلادي ، انت ثورة على الاعادي » .

لم تشهد الضفة الغربية استنهاضا لنضالية الجماهير منذ ١٩٦٩ كما شهدت بعد جريمة الفردان . لقد كشفت المظاهرات والاضرابات والجنازات والعصيان المدني الكامل عن فشل كل محاولات اسرائيل اخضاع الانسان الفلسطيني لاحتلالها وتطويعه وشقه عن أخوته في الخارج وعن ثورته المسلحة ، وكشفت زيف وخداع «التجربة الاسرائيلية» وأحبطت كل أهداف الارهاب الصهيونية . وقام قادة العدو باعادة تقييم للعملية وصرح سابير بأن ردود الفعل الغاضبة كانت مفعمة بالكراهية لاسرائيل وجيشها(٢١) .

ورأى اليعازر في نشر صورة كمال ناصر في صحف الضفة الغربية وما رافقها من تعزية « وهو الذي يدعو الى تدمير أسس دولة اسرائيل أمرا له مغزاه بالنسبة الينا ، انه يعني ان الموقف العربي التقليدي الذي يدعو الى العمل من أجل تصفية اسرائيل لا يزال مقبولا من عدد كبير من العرب »(٢٢)...

وعلى صعيد الثورة الفلسطينية فبالرغم من الاسى والحزن العميق الذي أصاب قياداتها وكوادرها وعناصرها لفقد الشهداء البررة فان هذا الحزن تحول الى مزيد من الاصرار على الصمود والتحدي والاستمرار في النضال المسلح ضد العدو لتحرير التراب الوطني الفلسطيني وللقضاء على الارهاب الصهيوني من جذوره ، وتحول الى مزيد من الالتحام مع الجماهير وهو ما مكن الثورة الفلسطينية من الصمود في محنة أيار التي لحقت الفردان ونتجت عنها . كما تحول الى مزيد من التوحد بين الثورة وجماهير الوطن المحتل والى تصاعد وتيرة النضال في الداخل وتنامي قدراتها ، كما ان ذلك كله ضاعف من الضغوط على كافة الانظمة والقوى العربية من أجل العودة للنضال المسلح ضد العدو ومنعه من الاستفراد بالثورة الفلسطينية في لبنان وهو ما ادى في النهاية الى اندلاع حرب رمضان الوطنية في تشرين ١٩٧٣ ، وكشفت العملية وآثارها عن مشاركة المخابرات المركزية الامريكية وعن التحالف الامريكي ــ الاسرائيلي في أبشع صوره وأبرزت فشل المحاولات التصفوية والحلول السياسية المطروحة على المنطقة .

دير ياسين والفردان : مقارنة

هناك العديد من أوجه الشبه بين الجريمتين . فالمخطط لهما واحد والاهداف الاساسية واحدة (مع اختلاف الاهداف التكتيكية المباشرة) ، والظروف المحيطة بالجريمتين تتشابه الى حد كبير . فلقد استهدف العدو في العمليتين ضرب مقاومة الشعب الفلسطيني وارهابه في فترة تصاعدت فيها مقاومته . واستخدم العدو المباغتة لضرب أهداف مدنية لا تكافؤ في القوى بينها وبين المهاجمين ، واراد العدو في الحالتين اثبات طول الذراع الاسرائيلية الارهابية لاستخدام ذلك في حربه النفسية ضد الشعب الفلسطيني ، واستفرد العدو بالشعب الفلسطيني وثورته في الحالتين مطمئنا الى انعدام الردع من الانظمة العربية المحيطة (اتصل بن جوريون بالملك عبدالله بعد مذبحة دير ياسين مستنكرا العملية حتى لا يتراجع عن اتفاقه مع الوكالة اليهودية فلم يتراجع)، ولقد حدثت مقاومة عنيفة ضد المهاجمين في الحالتين بالرغم من المباغتة وعدم تكافؤ القوى . فلماذا اختلفت النتائج ؟

لقد كان الشعب الفلسطيني في عام ١٩٤٨ وهو على أرضه يشكو من تشتت قواه وتشرذم قياداته وتناثرها(٢٣) ، ولم تكن هناك حركة ثورية ذات تنظيم جماهيري وبرنامج سياسي واضح ، فلقد ترتب على ثورة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ وما أعقبها من قمع ونفي وتشتيت